رسائل ثقافية

سوريا : من ياسين رفاعية

اقيم مهرجان الشعر الرابع في حلب من ١ تشرين الثاني (نوفمبر) الى الخامس منه ، فقسم الى جزئين: الايام الثلاثة الاولى المهرجان واليومان الاخيران بمناسبة ذكرى الشاعر الحمداني ابي فراس . ورعى المهرجان رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة ، وناب عنه وزير التربية والتعليم الذي القى ايضاً كلمة رئيس المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية الذي كان متغيباً في الجزائر .

وكانت كلمة السيد الوزير رسمية بطبيعة الحال، وعندما تقال الكلمة على المستوى الرسمي فان كثيراً من التوريات تختفي وراءها . ولا يفهم عادة في مثل هذه الكلمات الا ان كل ما يطلبه الشعب سوف يحقق — «سوف» ، دائماً !

ثم كانت كلمة امين سر المجلس الاعلى ، فحيا الشعراء والحضور واكد ان المجلس الاعلى مستمر في اداء رسالته وفي خلق حركة ادبية تساير التطور الخلاق في العالم بأسره !

وتوالت الكلمات الى ان القى مقرر لجنة الشعر كلمة ، فوجئت بها . فهو عندما يحدثنا في العادة لم يكن يحدثنا عن الشعر كما فعل ذلك اليوم . تحدث عن الشعر القديم والشعر الحديث ، فأكد بحركات تمثيلية ان الشعر الحديث هو محاولة لاجهاض الفكر ، محاولة لخلق تيار غير عربي! ثم قال بلهجة بوليسية. اننا لن نسمح بعد اليوم بمثل هذا اللغو من الكلام!

وهنا ابتدأت معركة الشعر التي استمرت طوال ايام المهرجان الخمسة . وكان انصار الشعر القديم جميع المتزلفين للجنة الشعر في المجلس الاعلى ، اما الذين دافعوا عن اتجاه الشعر الحديث فهم قلائل جداً ، قلائل الى حد انهم لم يتجاوز عددهم اصابع اليد الواحدة .

في الشعر القديم ، او الذي حافظ على الشكل القديم، لم يبرز سوى ثلاثة او اربعة من بين الثلاثين شاعراً . كان عبد الحق حداد وكان عبد الرحيم الحمصي وكانت عزيزة هارون وكان حامد حسن . اما الآخرون فقد سطوا على غيرهم ، وكان ضحاياهم بدوي الجبل وايليا ابو ماضي وعمر ابو ريشة وسعيد عقل ونزار قباني .

والقصيدة الحديثة الوحيدة التي القيت كانت للشاعر خليل خوري . وعندما وقف قبل القاء القصيدة قال انه الوحيد النغم النشاز في هذه السيمفونية الشعرية التي تتردد الحانها في مدرج جامعة حلب ، لكنه يتحدى ان لا تكون قصيدته الحديثة اكثر عمقاً مما قيل في شعر الآخرين. وتحدى المجلس الاعلى اذا كان يستطيع ان يوجه له الدعوة لحضور المهرجان الخامس في العام القادم .

والقى الشاعر قصيدته ، لكن القلائل جداً صفقوا من بين الالفين الذي امتلأ بهم المدرج . لماذا ؟ هؤلاء جاؤوا يستمعون الى البرنامج الفني الذي الصق في المهرجان والذي صار يقدم بعد الانتهاء من قصائد الشعراء ، جاؤوا يستمعون الى مطربات الكباريهات والملاهي . ولذلك رضوا ان يضحوا بالاستماع الى القصائد ومشاهدة الشعراء وهم

يلقونها، قبل الانتقال الى برنامجهم الرئيسي والاستماع الى « أصل الغرام نظرة » و « اكلك منين يا بطة» و « يا كركدن لا تحسبن » و « عالعصفورية » ، ومشاهدة هذه الراقصة او تلك وهي تغمز بعينيها كما لو انها في احط ملهى او كباريه .

في مهرجان كهذا للشعر ، هل من عجب انه لم يصفق للشعر الحديث ؟ وقد تشجع احدهم وهو غض صغير القى قصيدته بعد خليل خوري مباشرة ، فشتم الشعر الحديث ومن يكتب الشعر الحديث بكلمات سوقية بذيئة مما اثار اشمئزاز حتى الذين جاؤوا يستمعون الى مطربات المهرجان . وعندما انتهى من كلمته الحاقدة القى قصيدة على طريقة العمود القديم ، ولكن اكثر ابياتها جاءت مكسورة محطمة ؛ وعندما سألت احد اعضاء لجنة الشعر عن ذلك، قال: ان هذه القصيدة لم تقدم لهم!

يقول الشاعر الفرنسي سان جون بيرس : « ان الشعر ليس عملية كاملة ، بل انه ليس عملية جمالية فقط ، كما انه ليس عملية زخرف وتزويق وتزيين . وليس هو بفعل طرب وغناء . كما ان الجمال ليس غاية الشعر ، وان كان والشعر رفيقي طريق . الشعر هو لهب ، وهو قدرة ، وهو تجديد دائم . حظه من الدنيا حظ نفسه وليس حظ سواه . لذا فانه يوازي الحياة ، بل يذهب ابعد منها ، بل يتفوق عليها » .

تذكرت هذا الكلام وانا اسمع هذا الرصف المنظم من الكلمات في مهرجان الشعر الرابع . تذكرت هذا الكلام وانا اشاهد هؤلاء الشعراء يتسولون التصفيق من اكف الصفوف الخلفية . تذكرت هذا الكلام وانا ارى هؤلاء الذين انتفخوا وراء الميكروفونات واصلحوا من ربطات عنقهم امام مصوري التلفزيون والسينما وتمايلوا كراقصي التويست امام السيدات والاوانس . تذكرت كلام بيرس كله وانا اشاهد هذه الصور المزيفة واستمع الى هذه القصائد المشوهة المسروقة والملطوشة من شعراء آخرين . تذكرت ، فحمدت الله على وجود الشعر الحديث وشعراء حديثين . اكثر الذين ينظمون على الطريقة القديمة يعيشون على السطح يقتاتون بالكلمات الجاهزة المهيئة ، لكن الشاعر الحديث هو في التحام مضن رهيب مع قوى هائلة تعمل متضافرة على سحقه وازالة كل معالم الحضارة التي بناها لبنة فوق لبنة على مر الاجيال والاعوام .

الضياع والقلق والغربة والخوف والفزع اقانيم تحيط بانسان هذا العصر وتضيق الخناق عليه ، وترسم في عينيه صورة قاتمة للمستقبل الموحش الغريب الذي تصوره لنا الآلة اليوم على انه دوامة جحيم وان الانسانية مقدمة على الانتحار وانها لتحفر قبرها بيدها ؛ فالعلم قد سخر من اجل الهدم لا من اجل البناء فحسب ، والفكر قد سخر من اجل الكراهية والبغضاء لا من اجل المحبة والتسامح فحسب. ولعل التسابق على اختراع الاسلحة الرهيبة هو خير مثال على اندحار القيم الخلقية والروحية والفكرية نحو الحضيض وفقدان الايمان بصفاء الانسان .

والشاعر الحديث عين الانسانية المنفتحة على الواقع المرير الذي وصلت اليه مرغمة . والشعر الحديث اليوم هو الناقوس الحزين الذي يجسد مأساة الانسان العميقة في هذا القرن . ومن اجل التعبير عن حقيقة المشاعر التي تحملها الانسانية في اعماقها كان لا بد للشعر ان ينطلق ويتحرر من القيود التي كانت تلزمه ان يكون في قالب معين .

ولقد تجاوب شعر اليوم مع انسان اليوم، وعبر الشاعر تعبيراً صادقاً مخلصاً عن افكار هذا العصر. وهذا يكفي ؛ ليس مهماً ان يتقيد الشاعر بعمود الشعر حتى نحكم عليه بانه شاعر حقيقي (وشعراء مهرجان الشعر الرابع في حلب خير مثال على ذلك): المهم ان يكتب شعراً — والشعر في قوالبه الجديدة لم يعدم ابداً اهميته وابداعه وابتكاره .

وهنا اريد ان اؤكد— ويؤسفني هذا التأكيد— ان مهرجان الشعر الرابع كان فاشلاً كل الفشل . فلا هو استطاع ان يقدم شعراء ينظمون في القالب

القديم ويبدعون في هذا النظم ، ولا هو اتاح المجال للشعر الحديث. ولولا ان خليل خوري تمرد وتحدى ليكون الشاعر الوحيد الذي القى شعراً حديثاً لخيل لي ان التضييق الشديد الذي فرضته لجنة الشعر هو السبب في احجام الكثيرين عن القاء قصائد حديثة .

. وكان لا بد في هذه الكلمة العجلى من المرور على ذكرى ابي فراس ، الذي ازيح الستار عن تمثاله الذي قدمه المجلس الاعلى هدية الى مدينة حلب وصنعه المثال جاك وردة . فماذا كان هذا التمثال ؟ كان تمثالا مسكيناً لا يعبر عن حقيقة ابي فراس . فأبو فراس مات في سن السابعة والثلاثين ، ولكنه في التمثال يبدو حياً في سن الستين. والتمثال صغير الى حد يصلح لان تكون قاعدته في صالون منزل ما ، لافي حديقة كبيرة وساحة واسعة .

الموسم الثقافي الجديد يبشر بخير عميم في سوريا . فان ثمة مجلات ادبية اخرى سوف تصدر بالاضافة الى المجلة الجديدة « الموقف العربي » التي يتولى فيها رئاسة التحرير حسام الخطيب وسكرتارية التحرير زكريا تامر. كما ان معرض الخريف الذي اقيم خلال تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي قد قدم مواهب جديدة ولوحات فيها تجديد كبير ، عدا عن المحاضرات والندوات التي اخذت تقام في اكثر الاندية . كما ان البرنامج الثاني الذي راح يبث من اذاعة دمشق قد اكتسب لنفسه عدداً كبيراً من الجمهور المثقف لما يقدمه من مسرحيات مترجمة ونقد وقصائد وابحاث وتحليل للسيمفونيات العالمية .

الجزائر : من ثريا انطونيوس

اول ما يسترعي النظر والدهشة في مدينة الجزائر هو طابعها غير العربي : فهي بلدة بيضاء متراصة هندست مبانيها بشكل متين غريب هو من بقايا عهد الاستعمار ، وهي توحي بانها بلد تجاري وفردوس لشركات التأمين اكثر مما توحي بانها (كما هي في الواقع) مقر اوعى وانجح قوة ثورية في افريقيا .

وقد اكتسبت هذه البلدة اسم الجزائر البيضاء من طائفة من الجزائر الصغيرة التي كانت تحيط في وقت مضى بالميناء وارتبطت معاً في الوقت الحاضر لتشكل رصيف الميناء الطويل الذي يقوم عليه مبنى الاميرالية . وينصح الدليل السياحي زوار المدينة بان يبدأوا جولتهم فيها بهذا الرصيف ، غير انه منطقة محرمة على المدنيين وتقوم معاً بحراستها القوات الجزائرية والقوات الفرنسية (التي ما زال منها حوالي ستين الفاً في البلاد) .

وقد فتحت معظم الدكاكين في الشوارع الرئيسية ابوابها من جديد ، وبعضها ملىء بشكل يدل على رخاء وسط التقشف الذي يحيط بها . اما السلعة التي تباع اكثر من سواها في هذه الدكاكين فهي الكتب : فمكتبات البلدة تعرض بزهو مؤلفات جميع كتاب الجزائر ، امثال مولود فرعون وكاتب ياسين وجان عمروش وآسيا جبار ، كما تعرض كل كتاب تقريباً ألف عن الجزائر قط . وتجد كتاب « العام الخامس للثورة الجزائرية » معروضاً في الواجهات بشكل خاص ، كما تجد بعض المؤلفات